الإعجاز المقاصدي للتشبيه في القرآن الكريم

إعداد

الدكتور عبد الرحمن محمد رضوان حرش

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

جامعة إسطنبول شهير- تركيا

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه وبعد؛

فإن القرآن الكريم يصور بطريقة فنية -ما أبدعها!- المدركات جميعها جميلها وقبيحها، بطريقة تحسن بها الحسن وتشوه بها القبيح المستهجن، مستخدمًا التشبيه أسلوبًا للتقبيح من بين الأساليب العربية[1]، والتشويه يعد غرضًا من أغراض التشبيه، وعن طريق التشويه فإن القرآن يصور الأقوال والأفعال والصفات، يصور أقوال الشرك والنفاق والكفر، كما يصور أفعالهم ومآلاتهم، وكذا يصور المعاصي من آفات الجوارح، كما يصورها من أفعال القلوب، ينقل هذه المسائل من مستحبات النفوس وميولها الخادعة ليضعها في موضعها الصحيح، فيكشف الجمال الزائف عنها ويظهر شناعة صورتها، ويرسمها الرسم الحقيقي، كي لا ينخدع الناس بمظهرها، ويغرهم عدم معرفتهم بمخبرها، فإن كانت المسألة حسية فقد اتضح قبحها وإن كانت معنوية جسمها وشبهها، وصورها بأقبح صورة يمكن أن تجعل القارئ يتفطن إلى جوهرها فيكرهها، مما سنراه في المبحث الأول فالثاني، فمن ذا الذي يستمتع بالغيبة ويعدها من فضول الكلام، ويشبع رغباته بالحديث عن فلٍ وفلان وهو يعلم أن ذلك أشبه ما يكون بأكل لحم الأخ وهو ميت![2]

ولما تقدم فقد أُفرد هذا البحث لبيان هذه المسألة، مسألة التصوير القرآني للقبيح عن طريق التشبيه، مقسمًا إياه إلى مبحثين رئيسيين يشتمل كل منهما على مطلبين ثم الخاتمة والتوصيات.

---

١ للعرب أساليب في التقبيح غير التشبيه، انظر: السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرحه وعلق على حواشيه محمد أحمد جاد المولى وآخرون، (مصر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباب الحلبي وشركاه د.ت) (٢١٤/١).

٢ (وإن للتمثيل والتنظير في الحسَن والقبيح أثرًا عظيمًا في حث النفس على التشبه أو التجنب) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** ، (تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م.) (٣٠٤/٩).

أسئلة البحث:

يجيب البحث عن عدة أسئلة وهي:

- هل التشويه من مقاصد التشبيه؟
- كيف أظهر القرآن قبيح الأفعال والأقوال؟
- كيف أظهر القرآن قباحة بعض الأفكار والطباع؟

أهداف الدراسة:

- توضيح علاقة التشبيه بالتشويه.
- إظهار تقبيح القرآن الكريم للأفعال المنهي عنها.
- بيان كيفية تشويه المسائل المعنوية كالأفكار والطباع بطريقة التشبيه.

أهمية هذا البحث:

تبدو أهمية هذا البحث نابعة من اهتمام القرآن بهذا الفن التصويري للمدركات حيث أولاه عناية بالغة فلم يجعله مقتصرًا على إبراز الصورة أو إحياء المشهد بل جعله في إطار توظيف الفكرة القرآنية الداعية إلى خير أو المنفرة عن الشر، وكان لا بد من جمع بعض هاتيك الصور لإظهارها في هيئة بحث علمي يتناول هذه الظاهرة القرآنية.

سبب اختيار البحث:

- بيان فرادة القرآن في تعبيره وأسلوبه في التقبيح، من حيث الرقي في الأسلوب، فإنه حينما يهدف إلى تشويه شكل ما، أو فكرة ما، أو خلق ما من الأخلاق، فإنك لاترى نظيرًا له عند شعراء الهجاء كالحطيئة وابن الرومي، ولا عند الكتاب المشتهرين بهذا الفن من أمثال الجاحظ في رسالته التربيع والتدوير! بل هو الرقي الذي لا يقذع في

الألفاظ، ولا يتلاعب بها، ولا يبالغ في الأوصاف، كيف وقد نهى الشارع الحكيم عن السخرية، والنبي -صلى الله عليه وسلم- ينهى في غير ما حديث عن ذلك، ولكن الحاجة إليه كالحاجة إلى رشق النبل، ونضحه!

- من أجل أن يفرق الباحث ومن ثم القارئ بين مرادات المتكلم من التشبيه، حتى لا يقع الخلط بين مراد ومراد؛ وذلك لكثرة المرادات، فإن "من شأن التشبيه **تحريك حسّ النفرة** أو الرغبة أو الميلان أو الكراهية أو الحيرة أو الهيبة؛ فقد يكون للتعظيم أو التحقير أو الترغيب أو التنفير أو **التشويه** أو التزيين أو التلطيف ... إلى آخره، فبصورة الأسلوب يوقَظ الوجدان وينبَّه الحسُّ بميلٍ أو نفرة"[١]، فهذه أغراض عدة للتشبيه ويتبين منها أنها تعود إلى وجوه،[٢] ومن هذه الوجوه: **تشويه المشبه وذمه ليكره ويرغب عنه،** كما "إذا شبهت وجهًا مجدورًا بسلحة جامدة، وقد نقرتها الديكة؛ **إظهارًا له في صورة أشوه إرادة ازدياد القبح والتنفير**"[٣]، وألطف من هذا المثل معنى وتمثيلًا قول الإمام العيني(٤) في شرح حديث: «كالعائد في

(٣) النورسي، بديع الزمان، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز** ، تحقيق إحسان الصالحي (إستانبول، دار سوزلر ، ١٩٤٩) ص١٢٠.

(٢) وأغراض التشبيه هي أولًا: بيان إمكانه، إذا كان أمرًا غريبًا لا يمكن فهمه وتصوره إلا بالمثال، وثانيًا: بيان حاله، إذا كان غير معروف الصفة قبل التشبيه، وثالثًا: بيان مقدار حاله في القوة والضعف إذا كان معروف الصفة قبل التشبيه فبه يعرف مقدار نصيبه، ورابعًا: تقرير حاله في نفس السامع، بإبرازها فيما هي فيه أظهر وأقوى، وخامسًا: تزيين المشبه وتحسين حاله ليرغب فيه، وسادسًا: -وهو [موضع هذه الدراسة]- **تشويه المشبه وذمه ليكره ويرغب عنه،** وسابعًا: استطرافه وجعله مستحدثا بديعًا، وقد نظم هذه الأغراض العلامة عبدالرحمن الأخضري بقوله:

وَغايَةُ التّشبيهِ كشْفُ الحالِ مِقدارٍ اوْ إمكانٍ اوْ إيصالِ

تزيينٍ او تشويهٍ اهتِمامِ تنويهٍ استطرافٍ او إيهامِ

انظر:الأخضري، عبد الرحمن، **متن الجوهر المكنون،** فصلٌ: في أداةِ التشبيه وغايته وأقسامه ص٧.

(٣) السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد، **مفتاح العلوم**، ضبطه: نعيم زرزور، (بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧) ص٣٣٤.

(٤) هو الإمام شيخ الإسلام بدر الدين أبو الثناء محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العينتابي المصري الحنفي، المشهور بالعيني، قاضي قضاة الديار المصرية وعالمها ومؤرخها، ولد بعينتاب سنة (٧٦٢هـ)، درس وتفقه ورحل واشتغل وصنف التصانيف التي أشهرها شرحه لـ«البخاري» المسمى «عمدة القاري»، توفي سنة (٨٥٥هـ)، ينظر «المنهل الصافي» (١١/١٩٣)، «النجوم الزاهرة» (١٦/٨)، «الضوء اللامع» (١٠/١٣١).

قيئه»[(١)]: (الغرض من التشبيه تقبيح صورة ذلك الفعل؛ أي: كما يقبح أن يقيء ثم يأكل كذلك يقبح أن يتصدق بشيء ثم يجره إلى نفسه بوجه من الوجوه)[(٢)].

الدراسات السابقة:

لم ينته إلى علمي – وهو بضاعة مزجاة– أن يدًا امتدت إلى هذا البحث قبلًا، أو أفردته بالبحث، فإن ما دفعني إليه هو تصوري لآية الحجرات في أكل لحم الميت، ولذا أقبلت على تفاسير الأئمة ناهلًا منهم وصفهم لأمثال هذه الآيات، مع علمي أنه

ولـــن تصـــادف مرعـــىً ممرعًـــا أبـــدًا   إلاَّ وجـــــدت لـــــه آثار مـــــأكول[(٣)]

الصعوبات في هذا البحث:

– الخوف من أن أغفل في تفسير كلام الله تعالى شيئًا يحتمله لفظه، حتى لا يكون هذا نقصًا في معرفة كتاب الله، وأن أزيد في تفسير كلام الله معنى لا يحتمله لفظه؛ لأن هذا إدخال في كتاب الله ما ليس منه[٤].

– خشية القول في القرآن بالرأي من غير دليل في مسألة لا إمام فيها!

منهج البحث:

منهج وصفي تحليلي، يعنى بمكونات النص اللغوية ويتبع أثره.

طريقة البحث:

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (١٤٩٠) من حديث عمر رضي الله عنه، و(٢٦٢١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** ، (بيروت. دار إحياء التراث العربي) (٨٦/٩).

(٣) البيت ينسب للأحنف بن قيس، ينظر: الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، **معجم الأدباء**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩١م). (٢٢٤/٢-٢٢٥).

٤ من كلام أ. د. محمد أبو موسى البلاغة مدخل إلى فهم الكتاب والسنة في لقاء منشور على اليوتيوب http://www.youtube.com/watch?v=rjPvtpj1aUk

تقوم على تخريج الآيات والأحاديث، وتوثيق النصوص، ثم صناعة الفهرس، وثبت المصادر والمراجع.

حدود البحث:

هذا البحث سيناقش هذه المسألة مسألة التشبيه بقصد التشويه دون ادعاء فرادته في هذا،

ولكني سأتناوله ضمن نظام لا يكاد يغادر ما جاء تحت عنوان خطة البحث إلا بمقدار ما يمنع البحث – إن منع – من الإطناب، أو ما يجود به – إذا جاد – بعد إيجاز، وهي من تمهيد وأربعة مباحث. تتناول الآيات التي شوه القرآن بها الشرك قولًا وعملًا وفكرًا ومآلًا.

هيكل البحث:

ويتضمن هذا البحث مقدمة وستة مباحث وخاتمة وأهم النتائج والمصادر والمراجع.

- المقدمة : وتشتمل على: أهمية الموضوع، ومشكلة البحث وأسئلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وحدوده، وإجراءاته، وصعوباته، وهبكل البحث وهو:

- تمهيد: البيان والتشبيه، وكيفيته، وأغراضه طرائق التشويه وأساليبه.
- المبحث الأول: تشويه الأفعال وتشويه الأقوال.
- المبحث الثاني: تشويه الأفكار وتشويه الصفات.
- **الخاتمة** : وفيها ذكر أهم نتائج وتوصيات البحث.

ثم الفهارس: فهرس المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

تمهيد: البيان والتشبيه، وطرائق التشويه:

التشبيه فرع من فروع البيان، والبيان علم فرغ العلماء من بيان مادته فهو ما يكشف قناع المعنى الخفي[(١)]، فهنالك معنى خفي في ذهن المتكلم يحتاج إلى إعمال العقل والفكر حتى يكتشفه ومن ثم يتقبله، يتكفل البيان بإظهاره ما في ذهن المتكلم، فإذا ما رزق حسن الدلالة في بيان المرء عن نفسه فقد أبان وأوضح، وإنشاء القول البين هذا مشروط بمطابقة مقتضى الحال بأن يكون مطابقًا للمعاني التي استقرت في ذهني وأردت بيانها فهنا نبين الكلام النفيس ثم نحلل هذا المعنى النفيس، والعلوم الثلاثة تعين على البيان فهي تقول: إذا أردت معنى هذا فقل هذا وهذه الثلاثة هي طريقة العربية في البيان عن المعاني ، وهي الوسيلة التي بها نستطيع أن نتبين أسرار الكلام الذي نقرؤه ونستخرج غوامض معانيه وأسراره حتى نبني في ذهن السامع عالما مشابهًا للعالم الذي في نفسنا، ولذا فإن (كلُّ شيء كشَف لك قناع المعنى الخفيّ حتى يتأدّى إلى الفهم ويتقبّله العقل)[(٢)] فهو البيان، و(بأي شيء بلغتَ الإفهام، وأوضحت عن المعنى؛ فذلك هو البيان في ذلك الموضع)[(٣)]. وأما الاصطلاح عليه بأنه:(العلم الذي يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، في وضوح الدلالة عليه)[(٤)]، فهو الدليل على ما تقدم من أن العلوم الثلاثة هي خادمة للمعنى ولكن لكل واحد طريق، ولكل

---

(١) الأندلسي، أحمد بن عبد ربه، **العقد الفريد**، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، (بيروت، لبنان دار الكتب العلمية، ط١ ١٩٨٣)، (٦/٢).

(٢) المصدر نفسه: (٦/٢).

(٣)الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين** ، تحقيق: عبد السلام هارون، (دار الجيل، بيروت). (٥٤/١-٥٥).

(٤) الخطيب القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: بهيج غزاوي، (بيروت، دار إحياء العلوم، ط٤، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.) (ص ٢٠١).

معنى في النفس كلام ونظم يساعد عليه ، وتحليله يعني الانتقال بالقارئ من خفي المباني إلى خفي المعاني وهذا لا يتم إلا بما اصطلح عليه بالتدبر..

وتدبره يكون بالوقوف أولًا على فروعه – والمعني هنا من الفروع: التشبيه الذي هو محط البحث- وأركان هذا التشبيه وأغراضه[1]، فالتشبيه (مستدع طرفين مشبهًا ومشبهًا به، واشتراكًا بينهما من جهة وافتراقًا من أخرى)[2]. ولا بد من تدبر هذين الطرفين وبم يشتركان؟، ثم إمعان النظر في طرائق التشبيه، وهي كثيرة، كما أنها تضفي اللون الجمالي على الصورة، فإن الشيء (يشبه بالشيء تارة في صورته وشكله، وتارة في حركته وفعله، وتارة في لونه ونجره، وتارة في سوسه وطبعه، وكل منهما متّحد بذاته، واقع من بعض جهاته)[3].

وأما طرائق التشويه وأساليبه فهنالك في كتاب الله -سبحانه- وسائل متعددة تجعل العمل الذي لا يقبله الله تعالى ويريد التنفير منه مشوهًا[4] إن كان بتشويه صورته وشكله، أو في حركته وفعله، أو في لونه ونجره[5]، أو في سوسه وطبعه،[6]أو بالتنصيص على رجسه ونجسه ورجزه، وخبثه وقبحه وسوئه.

ومن اللافت للنظر هنا أن كثيرًا من الأمثلة التي ذكرت في هذا البحث جاء فيها التشبيه مستوحى من الطبيعة [7] بشقيها الصامتة منها والناطقة حيث تجد المساحة مترعة

---

١ ويسمي ابن عاشور غرض التشويه فائدة فيقول: وفائدة التشبيه تشويه الحالة «التحرير والتنوير» (٢٢ / ١١٩)

(٢) «مفتاح العلوم»(ص ٥٥٨).

(٣) بن ناقيا، عبد الله بن الحسين، **الجمان في تشبيهات القرآن**، تحقيق د. محمود حسن الشيباني (ط١ ١٩٨٧) ، (ص ٣٥).

(٤) التشويه صنو التقبيح وبمعناه قال الزبيدي: (شوهه الله) تعالى تشويهًا (قبح وجهه) فهو مشوه، وكل شيء من الخلق لا يوافق بعضه بعضًا: أشوه ومشوه. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية. الكويت.

(٥) **وإذا زهد في الكفر بمجرد الذكر؛ لم يتأكد قبحه في العقول كما يتأكد إذا مثل بالظلمة،** «مفاتيح الغيب» (٦٦/٢).

(٢٠) «الجمان في تشبيهات القرآن» (ص ٣٥).

(٧) ويرى الدكتور بدوي أن هذا من أسرار بقاء القرآن، حيث هو باق ما بقيت هذه الطبيعة، وهو عام لجميع الخلائق ما فهموا ما فيه من الصور، ينظر: بدوي، أحمد **من بلاغة القرآن** ، نهضة مصر، ٢٠٠٥م)، (ص١٥١).

بالألوان[١] التي يجتمع فيها الجمال الفني إلى الجمال الطبيعي، وهنا تتجلى عبقرية النسج حيث يصور القرآن الشيء المشوه، في صورة تشبيه جميلة، وتقوم المفارقة في أن الرديء من الأحوال والأفعال والحركات والصفات والأشياء يذوب في نسج ونظم وتصوير مدهش وجميل[٢].

وكما تغدو الطبيعة التي اعتدنا أن تكون حنَّانًا نأوي إليه لتلمس الجميل، وقاموسًا لكل كاتب يأوي إليه كما يأوي إلى معاجم اللغة جزءًا من أجزاء الصورة؛ لتصوير القبيح.

وما يعنينا في هذا البحث ما جاء منه مرادًا منه التشويه كشكل الشجرة الخبيثة، والهشيم اليباب، الذي تبول عليه الدواب وتروث، وصوت الحمار، وحركات الكلب، وشكل الحية المسلوخة من جلدها، والقطع المتناثرة والأشلاء المبعثرة، وما يتبع ذلك من المواد.

ويعنينا من البلاغة ما جاء مرادًا به التشبيه ككلمة الشرك، والربا، والغيبة والنميمة، ومآل الكفرة، وقول الزور، والتبذير، والتكالب على الدنيا، والمن والأذى، وعدم العمل بالعلم، والردة ونقض العهد.

ويجد الباحث أن الطريقة المناسبة هنا هي تقسيم البحث إلى ما فرضته طبيعة الأمثلة التي تمكن من استقرائها؛ ولذا فإنه يدلف إلى المباحث التي تصور الأشياء التي شوهها القرآن بطريقة التشبيه، تشبيه الأفعال والأقوال والأفكار والطبائع:

المبحث الأول: تشويه الأفعال والحركات والأقوال والكلمات

يظهر القرآن قباحة بعض الأفعال، وشناعة بعض الأقوال، وذلك من خلال تشبيههما بما ينفر الناس منهما ولذا سأخصص لكل منهما مطلبًا:

المطلب الأول: تشويه الأفعال والحركات:

(٢٢) وهي قمينة بدراسات كثيرة، فاضت ببعضها المكتبات، وقصرت عن جمعها كلها في باب واحد أيدي الدارسين.

(٢) انظر: مرتاض، عبد المالك ،**السبع المعلقات مقاربة سيمائية/ أنتروبولوجية**، ، (منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨) ص ١٥٧.

كما تكون الكلمة الطيبة المؤتلفة مع المعنى الحسن فتضعها في إطار الجمال المعنوي، تكون الحركة كذلك، فحين تكون الحركة ملائمة ومتناسقة ولها حضورها اللائق بين الحركات فإنها تتسم بميسم الجمال، والعكس بالعكس إذ تختلف حركة الجسم التي خلقها الله فعدلها وركبها وجعلها في أحسن تقويم عن عملية تفتيته وتقطيعه إربًا إربًا حتى تجعله نهبًا لأفواه الطيور الجارحة، وكلمات الشرك القبيحة تصل بالعبد إلى نهاية قبيحة، فيشنّع القرآن الكريم صورة المشرك بالله بالألفاظ المنفّرة عن الشرك وذلك عن طريق التشبيه التمثيلي فيشبه المشرك بمن: ﴿خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج:٣١] مبتعدًا عن الرحمة لتخطفه الطير، بسرعة وعنف وتعاقب خطوات... حيث خر فتخطفه! وقد اجتمعت عليه الطيور الجارحة من كل حدب وصوب، فمزقته كل ممزق، وذهبت به، حتى هلك. فحاله في شركه، وما يؤدي إليه من سوء العاقبة، شبيهة بحاله إذا أخذته ريح عاصفة، فقذفت به في مهوى عميق، لا يكون له منه خلاص ولا نجاة، أو أنّ حاله في ذلك شبيهة بحاله إذا خرّ من السماء، فعصفت به الريح، وهوت به في مكان سحيق.

والمقصود هنا تشويه حال الشرك والمشركين، فمن يسقط من السماء فتتمزق أوصاله، وتتخطفه الطير، أو تلقي به الريح في مكان بعيد لا يطمع له في نجاة، بل هو هالك لا محالة، وصحيح أن القرآن لم يصور كيفية الحركة التي تم بها تفتيت الأجزاء وتقطيعها ولكنه أشار إليها إشارة خاطفة ليدع للسامع أن يتملى ويخيل تلك الصورة التي يؤول إليها، فقد خطفته ثم مزقت أجزاءه وقطعته ثم أكلته، أو هوت به الريح فتناثرت أشلاؤه قطعًا قطعًا، وهكذا يكون القرآن قد (صور حاله بصورة حال مَن خرّ من السماء فاختطفته الطير فتفرق مُزعًا–أي: قطعًا– في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح — أي: المقاذف - البعيدة)[1] فأبدع في التصوير!

(١) وانظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت. دار إحياء التراث العربي) (١٥٧/٣).

وتكاملت الصورة في سياقها الجميل الموحي بتلك الحركات مع بقية الحركات التي تشي بالبعد عن الرحمة، فهي تخر من السماء بعيدة عن مصادر الرحمة، تضيع بين المهاوي والمقاذف كما يضيع العبد التائه في ظلمات الشرك، يهوي في مكان سحيق فلا يعرف الاستقرار... وهكذا جاءت الجملة الكريمة مقررة لوجوب اجتناب الشرك بأبلغ صورة.

إن الحركة التي نسمع وقعها في النصوص تنسجم تمامًا مع حال المشبه، والمشرك والكافر والمرتد والمصر على الكفر(١) وناقض العهد مع الله تعالى كل منهم له نصيب من التشويه.

كما أن الحركة التي تشوه منظر المشرك ههنا أصلًا لا تقل جمالًا ولا روعة عن الحركة التي تصور شكل المرتد حين يترك الإيمان وينقض العهد بعد أن هداه الله إليه لكن التشبيه فيه لا يأتي من الطبيعة الصامتة وإنما بأجزاء الطبيعة الناطقة.

فهذا الذي انسلخ من آيات الله بعد عرفانه بموضعها، وإدراكه لسرها، قد أخلد إلى الأرض، واتبع هواه وضل في غوايته ناصبًا لاغبًا، **وجد له التشبيه أصدق صورة في الكلب اللاهث، يدلع لسانه، ويسيل لعابه، وتخفق جانباه، في حالتي راحته وتعبه، وصورتي إيوائه وإبعاده،** والكلب هنا: أنسب ما يراعي مقتضى الحال، فالذي انسلخ يكد ويكدح في تحريف كلمات الله، فهو جاحد لها، أو رافض لمضمونها، فالحالة هذه تمثله وهو ينوء بعبء لم يستفد منه، ويعاني ثقلًا لم ينهض به، وهكذا الكلب في نصبه الكادح بداعٍ وبغير داعٍ[٢]،

---

(١) كقوله تعالى: ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ أي: أكبُّوا على الكفر والمعاصي، وانهمكوا وجدُّوا فيها، مستعار من أصر الحمار على العانة؛ إذا أصر أذنيه؛ أي: رفعهما ونصبهما مستويين، وأقبل عليها يكدمها ويطردها، وفي ذلك غاية الذم لهم، **وعن جار الله الزمخشري: لو لم يكن في ارتكاب المعاصي إلا التشبيه بالحمار؛ لكفى به مزجرة، كيف والتشبيه في أسوأ أحواله؛ وهو حال الكدم والسفاد؟** »: الألوسي، شهاب الدين أبو الفضل محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، (بيروت، دار إحياء التراث العربي) (٧٢/٢٩).

(٢) وابن عاشور يناقش أسلوب التشبيه هنا فيراه تشبيهًا مركبًا منتزعًا من متعدد ويقابل أجزاء التمثيل بحال المشبه به: ويرى أن الذين فسروا هذه الآية قد أغفلوا هذا فقرروا التمثيل بتشبيه حالة بسيطة بحالة بسيطة في مجرد التشويه أو الخسة. فيؤول إلى أن الغرض من تشبيهه بالكلب إظهار خسة المشبه، كما درج عليه في (الكشاف)، ولو كان هذا هو المراد لما كان لذكر ﴿إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث﴾ كبير جدوى، بل يقتصر على أنه لتشويه الحالة =

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

ومن عاهد الله على الإيمان؛ فلا ينبغي له أن ينقض ذلك العهد، وقد حذَّر الله من: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النحل: ٩٤]، واستعظم (أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه، فكيف بأقدام كثيرة؟)[(١)].

وإتباع الشيطان[٢] للمرتد حتى يغويه ويضله ليكون سببًا للضلال هو جزء من صورة التشويه للمرتد، كما جاء أيضًا صورة من صور التشويه في صورة حركة آكل الربا؛ حيث يصور القرآن حركته مشوهًا إياها لكن ليس بإغوائه العبد هذه المرة وإنما بجعله عنصرًا من العناصر المتحركة في النص: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فكانت (الحملة المفزعة، والتصوير المرعب، وما كان أي تهديد معنوي ليبلغ إلى الحس ما تبلغه هذه الصورة المجسمة الحية المتحركة؛ صورة الممسوس المصروع؛ وهي صورة معروفة معهودة للناس، فالنص يستحضرها لتؤدي دورها الإيحائي في إفزاع الحس)[(٣)]. وإن الحياة الربوية اليوم قائمة كلها على عدم الاستقرار والاضطراب والجنون...

فإن كان القيامَ المجازي (فالمعنى إما على أنّ حرصهم ونشاطهم في معاملات الربا كقيام

=

المشبه بها، لتكتسب الحالةُ المشبهة تشويها، وذلك تقصير في حق التمثيل). «التحرير والتنوير»(١٧٨/٩)

(١) «الكشاف»(٥٩٠/٢).

٢ (والعرب إذا قبَّحت مذكَّرًا شبهته بالشيطان، وإذا قبَّحت مؤنَّثًا شبهته بالغول، ولم ترها). «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٨١/٢١). وانظر تكرمًا: الدرويش، محيي الدين، **إعراب القرآن وبيانه،** (دمشق، دار اليمامة ودار ابن كثير، ط٥، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.) (٨: ٢٨٣) ففيه تحرير دقيق للمسألة وجمع لأقوال العلماء فيها.

(٣)سيد قطب، إبراهيم، **في ظلال القرآن** ، القاهرة، دار الشروق، (٣٢٦/١).

المجنون **تشنيعًا لجشعهم**).

ومن لازم هذا «التخبّط» الحركة مع عدم الاتّساق؛ وقد أطلق التخبّط على اضطراب الإنسان من غير اتّساق، وتلك هي الحركة التي تجعل صورة المرابي مشوهة[١].

(والذي يتخبّطه الشيطان هو المجنون الذي أصابه الصرع، فيضطرب به اضطرابات، ويسقط على الأرض إذا أراد القيام، والحاجة إلى زيادة قوله: ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾؛ ليظهر المراد من تخبّط الشيطان، فلا يظنّ أنّه تخبّط مجازي بمعنى الوسوسة، وهذا عند المعتزلة جارٍ على ما عهده العربي، مثل قوله: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]، وقول امرىء القيس:

ومسنونةٌ زُرقٌ كأنياب أغوال[٢])[٣]

ويعتقد الناس في الملائكة كمال الفضل في الصورة والسيرة ويعتقدون في الشياطين نهاية القبح والتشويه في الصورة والسيرة.

(وكما يحسن التشبيه بالملك عند إرادة تقرير الكمال والفضيلة في قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] فكذلك وجب أن يحسن التشبيه برؤوس الشياطين في القبح وتشويه الخلقة، والحاصل أن هذا من باب التشبيه لا بالمحسوس بل بالمتخيل، كأنه قيل إن أقبح الأشياء في الوهم والخيار هو رؤوس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح

---

(١) انظر: الشامي، صالح أحمد، **الظاهرة الجمالية في الإسلام** (بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٦٨) :٣٧، ٢٢٤، و: قطب، محمد، **منهج الفن الإسلامي**، (دار الشروق، ط٦ ، ١٩٣٨م) ٨٧-٨٨.، و: أو غروس واستأنسير، روبرت وجورج، **العلم في منظوره الجديد**: ترجمة:كمال خلايلي ١٢٣ .

(٢) عجز بيت صدره: (أيقتلني والمشرَفيُّ مُضاجعي)، وهو لامرئ القيس في «ديوانه» (بيروت دار صادر، ، ٢٠٠٥) (ص ١٤٢) من قصيدة أولها:

ألا عِمْ صباحًا أيها الطلل البالي　　　وهل يَعِمَنْ من كان في العُصُر الخالي

(٣) «التحرير والتنوير» (٣/٨١-٨٣).

النظر وتشويه الصورة)[١].

والأفعال المذمومة المقبحة المشوهة لم تكن حركاتها وحدها في مرمى الذم والتشويه بل كل ما يتعلق بها من مآلات فله نصيب من الذم والتشويه، ولحركة الطبيعة في جمال الصورة المقبحة تلك نصيب وافر، فحيث يكون التحسين بجعل الجنات والعيون، يكون التقبيح بتحويل هذه الجنات إلى خراب ويباب وهلاك واصفرار[٢].

وفي حديث القرآن عن نهاية قوم ثمود، وكيف أرسل الله على هؤلاء القوم صيحة واحدة، ففعلت بهم ما فعلت، شبه هلاكهم بهشيم المحتظر: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١]، فقد تحولوا من أجمل صورة إلى صورة أخرى ما أقبحها! فإن صانع الحظيرة يصنعها من الشجر والشوك لحفظ الغنم والإبل والدواب وحمايتها. فإن (ما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم)[٣]، وعن ابن عباس أن ما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم)[٤].

ولأن المحتظر يصنع الحظائر من أعواد جافة، فهم صاروا كالأعواد الجافة حين تيبس وتتحطم وتصبح هشيمًا، كما أن المحتظر يجمع لماشيته هشيمًا تأكله من الأعواد الجافة والعشب الناشف، وقد صار القوم كهذا الهشيم بعد الصيحة الواحدة!

---

١ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، **مفاتيح الغيب**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م). (26: ٣٤٣)

٢ في قوله تعالى نخل خاوية يبين ابن عاشور رحمه الله تعالى أن خاوية المجرورة باتفاق القراء هي وصف لنخل وأن هذا الوصف هو باعتبار إطلاق اسم النخل على مكانه بتأويل الجنة أو الحديقة، ففيه استخدام. والمعنى: خالية من الناس، ثم يقول: إن (هذا الوصف لتشويه المشبه به بتشويه مكانه، ولا أثر له في المشابهة وأحسنه ما كان فيه مناسبة للغرض من التشبيه كما في الآية، فإن لهذا الوصف وقعًا في التنفير من حالتهم ليناسب الموعظة والتحذير من الوقوع في مثل أسبابها)، التحرير والتنوير (٢٩ / ١١٩).

(٣) «الكشاف»(٤/٤٣٨).

٤ «الكشاف»(٤/٤٣٨)

ومما فسر ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ : أنه العظام المحترقة، قال الطبري: (كأنهم وجهوا معناه إلى أنه مثل هؤلاء القوم بعد هلاكهم بالشيء الذي أحرقه محرق في حظيرة)(١)، وهذا المشهد (**يعرض ردًا على التعالي والتكبر، فإذا المتعالون المتكبرون هشيم، وهشيم مهين، والهشيم تبول الدواب عليه وتروث**)(٢).

وعندما يكنس الفلاح أرض الحظيرة تكون هنالك طبقة من تراب الأرض، وروث الحيوانات وبولها والنباتات الخضراء والجافة والبرسيم المجفف.

وعندما تسقط بقايا النبات أسفل أرجل الحيوان، ويتبول عليها ويتبرز عليها، تقوم الكائنات الحية الدقيقة مِن بكتيريا وفطريات وبعض الحشرات والديدان بتحليل بقايا النبات المتساقط من صورته المعقدة التركيب.

هؤلاء الذين حولهم الله –سبحانه وتعالى– بصيحة واحدة إلى الهشيم المفتت والمحترق والمتحلل والمتفحم، فصاروا كأنهم فتات قد اختلط بالتراب والروث والبول، وفعلت فيه الكائنات الحية المحللة فعلها، فحللته وأخفت معالمه تمامًا.

كل هذه الحركات تعطي الصورة جمالًا من نوع تصوير ذاك القبيح بطريقة بلاغية جميلة!

وكما يقبح القرآن بالتشبيه أفعالهم فهو يقبح مآلهم باستدعاء صورة مآل فرعون وآله، وأن عاقبة الهلاك كما كانت لفرعون؛ تكون لكل من حذا حذوه وإن اختلفت طريقة العقاب؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آل عمران: ١١]، حيث (**شبه حالهم بحال المعروفين بالإهلاك لذلك، لزيادة**

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق أحمد عبد الرزاق البكري وآخرين، (القاهرة دار السلام، ط٤، ٢٠٠٩م). (٢٧/٦١).

(٢) «في ظلال القرآن»(٦٧٠٣/١).

تقبيح حالهم، وللتنبيه على أن ذلك سنة مطردة فيما بين الأمم المهلكة).

وهكذا تقوم الحركة في القرآن الكريم بمهمتها في تشخيص المعنى المراد تصويره وتشويهه.

المطلب الثاني: تشويه الأقوال والكلمات:

قد استجمل القرآن غير ما قول حين وصفه بالقول الحسن[١] والقول اللين[٢] والقول الكريم[٣] والقول المعروف[٤] والقول السديد[١] وغير ذلك[٢].....حتى غدا القول الجميل كالفعل

١ "بفتح الحاء والسين، على معنى الوصف للقول، كأنه قال: قولوا للناس قولًا حسنًا، وفيه أوجه الأول قال الأخفش: معناه قولًا ذا حسن، الثاني يجوز أن يكون حسنًا في موضع حسنًا كما تقول: رجل عدل الثالث أن يكون معنى قوله:وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا، أي: ليحسن قولكم نصب على مصدر الفعل الذي دل عليه الكلام الأول، الرابع: حسنًا أي: قول هو حسن في نفسه لإفراط حسنه" مفاتيح الغيب ١٥٣/٣.

وانظر الكشاف ١٨٧/١، و: أبو السعود، محمد بن محمد العمادي **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي). ١٢٣/١، روح المعاني ٣٠٨/١، التحرير والتنوير ١ / ٥٨٣، في ظلال القرآن (١ / ٨٧)، و: البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م).(١ / ٢٣٧).

٢ "القول الليّنُ: الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال، بأن يظهر المتكلّم للمخاطب أنّ له من سداد الرأي ما يتقبّل به الحق ويميّز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله. فشبه الكلام المشتمل على المعاني الحسنة بالشيء اللين. واللين، حقيقة من صفات الأجسام، وهو: رطوبة ملمس الجسم وسهولة ليّه، وضد الليّن الخشونة. ويستعار الليّن لسهولة المعاملة والصفح. وقال عمرو بن كلثوم: فإن قناتنا يا عَمْرو أعيَت على الأعداءِ قبلَكَ أن تلينا، واللين من شعار الدعوة إلى الحق" التحرير والتنوير . (١٦ / ٢٢٥)
وانظر: التفسير الكبير ٢٧/٢٢ ، الكشاف ٦٦/٣ ، تفسير أبي السعود ١٧/٦ ، روح المعاني ١٩٤/١٦ ، في ظلال القرآن (٤ / ٢٣٣٦).

٣ "أي: جميلًا لا شراسة فيه، قال الراغب: كل شيء يشرف في بابه فإنه يوصف بالكرم، وجعل ذلك بعض المحققين من وصف الشيء باسم صاحبه أي: قولًا صادرًا عن كرم ولطف ويعود بالآخرة إلى القول الجميل الذي يقتضيه الأدب، ويستدعيه النزول عن المروءة مثل أن يقول: يا أبتاه ويا أماه ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب" روح المعاني ٥٥/١٥ .

وانظر: نظم الدرر(٤ / ٥٨٩)، التحرير والتنوير (١٥ / ٧٠)، تفسير أبي السعود ١٦٦/٥، الكشاف ٦١٥/٢، التفسير الكبير ١٥٢/٢٠، في ظلال القرآن (٢٢٢١/٤).

٤ نهاهن من قبل عن النبرة اللينة واللهجة الخاضعة ، وأمرهن في هذه أن يكون حديثهن في أمور معروفة غير منكرة فإن موضوع الحديث قد يطمع مثل لهجة الحديث. فلا ينبغي أن يكون بين المرأة والرجل الغريب لحن ولا إيماء، ولا هذر ولا هزل، ولا دعابة ولا مزاح، كي لا يكون مدخلًا إلى شيء آخر وراءه من قريب أو من بعيد. في ظلال القرآن (٥ / =

الجميل، واشترك البيان والجمال في أنهما لا نهاية لهما [٣].

والجمال المعنوي موجود في الأقوال الحسنة، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] فقد جعل الله الدعوة إلى الإسلام، والنطق بكلمة الشهادة من أحسن الأقوال وأجملها، فدل ذلك على أن الجمال موجود في الأقوال التي يقولها الناس، وهي موجودة في الألفاظ التي ينطقونها بالنظر إلى ما تحمله من المعاني والمدلولات، وهي كذلك من حيث صياغتها البلاغية أيضًا.

ولا شك أن ما تحمله كلمات وأقوال الأنبياء والحكماء ككلمات إبراهيم واعظًا أباه ولقمان ناصحًا ابنه على سبيل المثال من جمال معنى ومبنى لا شك أنه يختلف عن أقوال الكفرة والمنافقين والطغاة والفراعنة التي صور القرآن قبحها بغير ما أسلوب بلاغي [٤] يمكن

=

٢٨٥٩)

وانظر: التفسير الكبير ١٨٠/٢٥، الكشاف ٣/ ٥٤٥، روح المعاني ٦/٢٢، التحرير والتنوير (٢٢/ ٩) ، نظم الدرر (٦/ ١٤٩).

١ "قاصدًا إلى الحق والسداد القصد إلى الحق والقول بالعدل، يقال: سدّد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد وعدل في القول والبعث على أن يسد قولهم في كل باب لأنّ حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيآتكم وتكفيرها وقيل إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية" الكشاف (ج٣/ص٥٧٣).

وانظر: التفسير الكبير (ج٩/ص١٦٢)، تفسير أبي السعود ج٧/ص١١٧، روح المعاني ج٢٢/ص٩٥، التحرير والتنوير (٢٢ / ١٢٣)، نظم الدرر(٦/٢٠٧)، في ظلال القرآن (٥/٢٨٨١).

٢ كما وصفه بأنه عظيم في قبحه، انظر في ظلال القرآن (٤ / ٢٢٣٠)، التفسير الكبير ج٢٠/ص١٧٢، الكشاف ج٢/ص٦٢٥ ، تفسير أبي السعود (ج٥/ص١٧٣)، روح المعاني ج١٥/ص٨١ ، نظم الدرر (٤ / ٦٠١)، التحرير والتنوير (١٥ / ١٠٨).

٣ ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ، قدمه وعلق عليه د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، (القاهرة، دار نهضة مصر،) (٤٠/١)

٤ انظر: التفسير الكبير ج٢٤/ص١١٨ الكشاف ج٣/ص٣٢٠ روح المعاني ج١٩/ص٨١ التحرير والتنوير (١٩ / ١٣٠)
=

الوقوف عليها عند دراستها، ولكل منها ائتلاف بين اللفظ والمعنى.

والأسلوب البلاغي الذي نفهمه من القرآن في صياغة النص، أنه بحيث لو تدبرته لنفرت من ذلك القول وذلك بطريقة تصوير الكلمات؛ ألا ترى أن في نقل كلام الله تعالى قول فرعون: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴾ [الشعراء: ٥٤] يحمل من الدلالات في بلاغته ما يحمله في معناه، ولا يعني هذا قبح اللفظ بعينه – وحاش لله أن يقول بهذا قائل– ولكنه في أسلوبه يصور معناه فيختار الألفاظ التي تناسب ذلك المعنى.

إن القول قد يكون أشد إيلامًا من الفعل فيكون أشد قباحة، وقد وصف الله ألسنة بأنها ﴿حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩] ، وذكر ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤] لأن لسانه أحلى من العسل!، وتكلم عن أناس ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ ﴾ [المنافقون: ٤] لحسن بيانه ورونقه، لكنه في مضمونه قبيح أشد القبح ؛ لأن قلوبهم تنطوي على دغل وقبح، ولا سيما إذا كان الكلام الذي يبطنونه أو يظهرونه هو من كلام الكفر بالله الذي لا تجد أشنع منه قاله من قاله، فكل القائلين بالكفر تتشابه أقوالهم في بشاعتها؛ إذ القائلون بها تتشابه قلوبهم حيث ذكر القرآن تشابه القلوب في معرض الحديث عن تشابه الأقوال، وكأنه يرمي إلى أن تشابه الأقوال في قباحتها نابع من تشابه القلوب**!** فإن "**المقصود من التشبيه: تشويه المشبه به بأنه مشابه لقول أهل الضلال البحت**" [(١)]..

وانظر مثلا إلى قباحة كلمة الكفر وتشويهها فإن النص لا يصفها بالقبح فقط، وإنما يضرب لقبحها مثلًا يصور المعنويات بالحسيات فتتراءى لنا الكلمة مصورة، حين يشبهها

=

نظم الدرر(٥ / ٦٠٦) في ظلال القرآن (٥ / ٢٥٩٨).

(١) «التحرير والتنوير»(٦٧٧/١-٦٧٨).

القرآن بشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، وخبث هذه الشجرة وقبحها قد يكون من رائحتها الخبيثة كما يكون طيبها من طيب رائحتها، وقد يكون الخبث بسبب طعمها النتن؛ إذ المألوف أن يكون الطعم طيبًا، وقد تكون ذات صورة منكرة حمالة للحطب، بخلاف التي لا تعرف العين سواها، وهي صورة الشجر الباسق حمالة الزهر والجنى والثمر، كما يمكن أن تكون ضارة لا نافعة بخلاف الشجر حامل الفوائد، والشجرة الخبيثة فيها أخباث بعضها فوق بعض ومعان يمكن أن تحملها كلمة خبيثة.

ولكن هذه الشجرة قد لا تكون بكل هذه الصفات موجودة بالفعل كما هي شجرة الزقوم في الآخرة ولكنها موجودة — في حالة التشبيه هذه- بالقوة إذا ما قوبلت بما يعرفه الذهن والواقع والوصف من جمال وحسن لتلك الشجرة الطيبة — التي شبه بها- وما يماثلها من الشجر الذي امتدحه القرآن بل وضربه مثلًا عظيمًا لنوره في سورة النور..

فإذا ما تمت المقابلة تمكن الذهن من تصور هذا الشكل القبيح المذموم وساعده عليه أن يقارنه بكلمة الشرك وغيرها من الكلمات التي تحمل بين طياتها كل هاته الدلالات والآثار[1]،

ولربما ساعده كذلك تصور شجرة الزقوم الملعونة التي ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥] في حين كانت هذه (موصوفة بالمضار الكثيرة، وإليه الإشارة بقوله ﴿خَبِيثَةٍ﴾، وخالية عن كل المنافع؛ وإليه الإشارة بقوله: ﴿خَبِيثَةٍ﴾[2].

(١) «الكشاف»(٥١٩/٢).
(٢) «مفاتيح الغيب»(٩٦/١٩).

ولا شك أن الخبيث لا يستوي مع الطيب ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ [المائدة: ١٠٠]، و(أصلُ الخبيث الرّديءُ الدُّخْلةِ الجاري مجرى خَبَثِ الحديد، وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال، والقبيح في الفعال)[١].

والخبيث يتناول المال والأعمال والمذاهب والناس، فهو (**عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم**)[٢].

والبون كما في القرآن شاسع جدًا بينهما وما يتوهم في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبيث.. وكما كان الخبيث عامًا في كثير من الأشياء فهو كذلك ينقسم إلى مادي وروحي، و(أخبث الخبائث الروحانية الجهل والمعصية وأطيب الطيبات الروحانية معرفة الله تعالى وطاعة الله تعالى)[٣].

إذًا: لا يستوي الحلال والحرام، الحلال في حلاوته وتقبل النفس له شبيه بالطيب ترغيبًا فيه، والحرام في كراهيته وعزوف النفس عنه مشبه بالخبث تنفيرًا منه،وقد صرّح بالمشبه به وحذف المشبه.

وسمى الحرام خبيثًا من باب المجاز؛ تشبيهًا له بالقبيح الذي تعافه النفس وتمجه الطباع، تنفيرًا منه، وتزهيدًا فيه، فقد وضع كل لفظ في موضعه اللائق به، واستعير للحلال ما يُرغب فيه، وللحرام ما يُنفر عنه[٤].

(١)الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان داودي، (دمشق دار القلم، ، ط٣، ٢٠٠٢م). (ص ٢٧٢).

(٢) «الكشاف» (٧١٥/١)، وينظر «تفسير أبي السعود» (٨٣/٣).

(٣) «مفاتيح الغيب» (٨٦/١٢).

(٤)ينظر: صافي، محمود بن عبد الرحيم، **الجدول في إعراب القرآن**، (دمشق، بيروت، دار الرشيد، ، دار الإيمان، ، ١٤١٨هـ.) (٣٥/٧).

إذًا لا تستوي الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة كما لا تستوي الحسنة ولا السيئة ولا الظلمات ولا النور وما بين الشجر المبارك الطيب والشجر الملعون الخبيث يظهر الفرق بين كلمة التوحيد وكلمة الشرك فإما أن تكون حطبًا يابسًا لا يصلح إلا وقودًا للنار يسقيها الخبث حتى تكون ثمارها كرؤوس الشياطين أو تكون خضراء مثابة للطيور وأمنًا[١] .

وإذا استخدم الخبث هنا لتقبيح صورة الكلمة من حيث هي كلمة قبيحة في الأذهان فإنها اقترنت بما يستقذر من الأصنام في نص آخر برجس من الأرجاس كما في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، والرِّجْسُ: القَذَرُ، وقيل: الشيء القَذِرُ، ورَجُسَ الشيءُ يَرْجُسُ رَجاسَةً، وإِنَّه لَرِجْسٌ مَرْجُوس، وكلُّ قَذَرٍ رِجْسٌ، الرَّجْس النَجْس[(٢)]، وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح والعذاب واللعنة والكفر.

وفيما كانت الأوثان رجسًا معنويًا فقد وصفها القرآن بلك الوصف (لِكون اعتقاد إلهيتها في النفوس بمنزلة تعلُّق الخبث بالأجساد، **فإطلاق الرجس عليها تشبيه بليغ**)[(٣)].

وينهى القرآن عن قول الزور (لتماديه في القبح والسماجة، وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الأوثان، **وسمى الأوثان رجسًا، وكذلك الخمر والميسر والأزلام على طريق التشبيه**؛ يعني: أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه؛ فعليكم أن تنفروا عن هذه الأشياء

---

١ عادة ما يكون الطير عنصرًا من عناصر الطبيعة يضرب به المثل في الجمال ولكنه في المثال الآتي في تشويه الحركات يتحول إلى وحش يلتهم فريسته ويفتتها، والذي قال كلمة خبيثة لا قرار لها مثله كمثل من يلقى في واد لا قرار له! فلا منبت لكلامه أولًا ولا مستقر لحاله آخرًا!

(٢) قال الزجاج: (الرِّجْسُ في اللغة: اسم لكل ما استُقذر من عمل، فبالغ الله تعالى في ذم هذه الأَشياء، وسماها رِجْسًا، وأعلم أن الشيطان يسوِّل ذلك لابن آدم، يقال: رَجِسَ الرجل يَرْجَسُ، ورَجَسَ يَرْجُسُ؛ إذا عَمِلَ عملًا قبيحًا، والرَّجْسُ– بفتح الراء -: شدة الصوت، فكأَنَّ الرِّجْسَ العمل الذي يقبح ذكره ويرتفع في القبح). انظر: الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب)، (٢/٢٠٣–٢٠٤).

(٣) «التحرير والتنوير» (١٧/٢٥٣).

مثل تلك النفرة) [(١)].

ويفهم من كلام الزمخشري أن التشويه جاء من اقتران القول (قول الزور) بالفعل (عبادة الأصنام) والنص القرآني هنا لا ينهى عن عبادة الأصنام فحسب بل يشوه الأصنام كذلك، **ويسميها رجسًا؛ تقبيحًا** وتنفيرًا، بل ويوقع الاجتناب على ذاتها. ثم في هذه الحال المشوهة المستقذرة يقرن بها الكذب والباطل وشهادة الزور، فذلك كله يدخل تحت: ﴿قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾.

ويساعد على فهم هذا المعنى أن في الآية إطنابًا جاء بجانب التشبيه ليزيد به تشويه القول وذلك عن طريق تأكيد إعادة الفصل بالفعل، عناية منه بشأن كل منهما على حدة؛ حيث إن القرآن يجمع بين الطهارة من رجس الأوثان والطهارة من رجس الأخطاء المفسدة للعبادات بجامع أن كلًا منهما خبث يشوه العقيدة أو يشوه طهارة القلب، و(لم يعطف قول الزور على الرجس، بل أعاد العامل لمزيد الاعتناء)[(٢)]. وتبلغ العناية بالنهي عنه أن ينهى عنه مجموع المؤمنين.

وكل هذا يدل على أن القول قول الكذب والباطل والزور يقبح قبحًا يجعله في مجال الدراسة والبحث في الجميل والقبيح، فهو يشبه هنا أقذر الأشياء، في حين يظهر نص آخر أن تشابه الأقوال القبيحة مرده إلى تشابه القلوب التي عليها أقفالها، وهكذا تكون الكلمات والأقول شأنها شأن الأفعال في حمل الدلالات التي تنفر القائل عن قولها كما تنزه السامع عن الاستماع إليها.

المبحث الثاني: تشويه الأفكار والطباع

المطلب الأول: تشويه الأفكار

المعنويات في القرآن صنو الماديات المحسوسات، في التشبيه والتشويه، وهذه الآيات تعمد إلى الشرك فتضعه في سياق من الذم ضمن هيئة قبيحة مشوهة في العادة ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا

(١) «الكشاف» (١٥٥/٣).
(٢) «روح المعاني» (١٤٨/١٧).

مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٨].

وهذا مثل قرآني عظيم (**يبين أن قبح عبادة غير الله تعالى مستقر في العقول والفطر، والسمع نبه العقول وأرشدها إلى معرفة ما أودع فيها من قبح ذلك**)(١).

فزعم أن الأصنام التي يعترف عبادها بأنها من خلق الله بأنها شريكة لله تعالى تشويه فكري؛ ولذلك نص عليه ابن عاشور رحمه الله بقوله:(**الهيئة المشبه بها هيئة قبيحة مشوهة في العادة، لا وجود لأمثالها في عرفهم، فكانت الهيئة المشبهةُ منفيةً منكَرة**، ولذلك أدخل عليها استفهام الإنكار والجحود؛ ليُنتج أن الصورة المزعومة للأصنام صورة باطلة بطريق التصوير والتشكيل؛ **إبرازًا لذلك المعنى الاعتقادي الباطل في الصورة المحسوسة المشوهة الباطلة**)(٢).

وفيما يتعرض جناب التوحيد اليوم لتشويه معرفي وفكري فإن القرآن قد أتى بالحجج والدلائل الواضحة ضرب فيه المثل٣ من النفس على أن الصورة المشوهة هي صورة الشرك لا التوحيد، فهل يقبل أحد أن يشارك مملوكه فراشه وماله؟ أو يخاف أن يقاسمه ماله كما يقاسم أحدهم غيره؟

ولا يبعد عن هذا التقبيح والتشويه لحال المشركين عن قوله تعالى في آية أخرى: ﴿ضَرَبَ

---

(١)ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: بشير محمد عيون، (دمشق، مكتبة دار البيان، ط١، ١٩٩٩م.) (١/٢٤٤).

(٢) «التحرير والتنوير»(٢١/٨٥).

٣ بل إن الرازي رحمه الله ذهب إلى أنه: (**من أراد تقبيح طريقة عند قوم كان الطريق فيه ضرب الأمثال!**).«مفاتيح الغيب» (٢٤/٢٨)، وغني عن القول: إن الأمثال القرآنية إن كانت مرسلة لم يصرح فيها بلفظ التشبيه؛ فليست بموضع دراستنا هنا، وإنما الجهد ينصب على التشبيهية التي تسمى بالتشبيه التمثيلي أو التشبيه المركب، ما سبق منها بـ «مثل» أو «ضرب» ومشتقاتهما.

ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٩].

وفي هذا التشبيه يبين القرآن حال من يعبد آلهة شتى مشبهًا إياه بمملوك اشترك فيه شركاء شَجَرَ بينهم خلاف شديد، وخصام مبين، وهم يتجاذبونه، وهو يقف متحيرًا لا يدري لأيهم ينحاز، ولأيهم ينصاع، وأيّهم أجدر بأن يطيعه، فكلما أرضى أحدهم؛ غضب الباقون، وإذا احتاج في أمر مهمّ إليهم؛ فكل واحد منهم يردّه إلى الآخر، فهو يبقى متحيرًا لا يعرف أيهم أولى بأن يطلب رضاه، وأيهم يعينه في حاجاته، فهو بهذا السبب في عذاب دائم وتعب مقيم، وحال من يعبد إلهًا واحدًا، فهو متوفر على خدمته، يلبي كل حاجاته، ويصيخ سماعًا لكل ما ينتدبه إليه ويطلبه منه. (**وهذا مثل ضرب في غاية الحسن في تقبيح الشرك وتحسين التوحيد**)[1].

والعقول لا تشك في الفرق بين هاتين الحالتين وأن العبدين ليسا سواء وبذلك (**احتج سبحانه على قبح الشرك**)[2].

وفكرة الشرك هذه مشوهة ولكن هذه المرة باستخدام الألوان التي تكون عادة للتزين والتجميل والحكم على هذه الألوان مصدره العين التي ترى.

وعلى عادة ابن عاشور يتحف متلقي كتابه بمعان فريدة تضاف إلى المعاني المشهورة الواضحة، فتزيده روعة، فها هو ذا يلفت النظر إلى الأسلوب البلاغي فيقول: (شبه الكافر بالأعمى، وشبه المؤمن بالبصير)، ثم قال منبهًا على إعانة الأسلوب على بيان التقبيح: (وقدم تشبيه حال الكافر وكفره على تشبيه حال المؤمن وإيمانه ابتداء؛ لأن الغرض الأهم من هذا

(١) «مفاتيح الغيب»(٢٦/٢٤١).
(٢) «مدارج السالكين»(١/٢٤٤).

التشبيه هو تفظيع حال الكافر، فالكافر شبيه بالأعمى في اختلاط أمره بين عقل وجهالة؛ كاختلاط أمر الأعمى بين إدراك وعدمه.

والمقصود: أن الكافر وإن كان ذا عقل يدرك به الأمور؛ فإن عقله تمحض لإدراك أحوال الحياة الدنيا، وكان كالعدم في أحوال الآخرة، قال ابن رواحة:

أرانا الهدى بعد العَمَى فقلوبنا بـه موقِنـاتٌ أنَّ مـا قـال واقـع[1]

(من الطويل)

ثم شبه الكفر بالظلمات في أنه يجعل الذي أحاط هو به غير متبيّن للأشياء، فإن من خصائص الظلمة إخفاء الأشياء، والكافر خفيت عنه الحقائق الاعتقادية، وكلما بيّنها له القرآن؛ لم ينتقل إلى أجلى؛ كما لو وصفت الطريق للسائر في الظلام، وجيء في الظلمات بلفظ الجمع؛ لأنه الغالب في الاستعمال، فهم لا يذكرون الظلمة إلا بصيغة الجمع)[2].

ولا شك أن للألوان دورها في بيان المعاني في القرآن الكريم، حيث استخدم القرآن من الألوان جميلها للجمال كالخضرة للجنان وقبيحها لقبيحها من حيث التشكيل، لا من حيث الأصل، كما في حديثه عن الذين يحشرهم يوم القيامة زرقًا، زرق العيون عليها أوجه سود!

كما أن الأفكار التي شوهها القرآن لم تكن إلا مشوهة في أصلها، وجاء القرآن ليقرب صورة التشويه إلى الأذهان عن طريق التشبيه؛ حتى لا يتمكن دعاة الباطل من تجميل تلك الصورة بزخرفة الألفاظ وتزييف الحقائق، ومن هنا سمى القرآن الأفكار القبيحة بمسمياتها في حين عدل أهل الباطل إلى مسميات أخرى يحسنون بها القبيح ويقبحون الحسن، لتقربها من

(١) البيت في «صحيح البخاري» في حديث أبي هريرة رضي الله عنه (١١٥٥).
(٢) «التحرير والتنوير» (٢٢/٢٩٢).

الواقع الذي يريدون أن يكون لا من الواقع الحقيقي الذي وضعه القرآن فيه!.

المطلب الثاني: تشويه الطباع:

كثيرة هي الحيوانات التي تم التشبيه بها للدلالة على قبح طباع المشركين والكفرة وأهل الكتاب، وطباع المشركين مركوز فيها صفة قبيحة جدًا هي النفور، فدأبهم الهروب من مواجهة الحق وابتعادهم عنه حتى لا يفضحهم، وهم في هذا أشباه الحمير الوحشية ترى الأسد يزأر أمامها فتفر في كل حدب وصوب لا تلوي على شيء قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩-٥١]. والقسورة: إما جماعة الرماة الذين يتصيدونها، أو الأسد، وهو رأي جمهور اللغويين؛وسمي بذلك لأنه يقهر السباع، قال ابن عباس: الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركون إذا رأوا محمدًا -صلّى الله عليه وسلّم- هربوا منه، كما يهرب الحمار من الأسد،**وهذا التشبيه في غاية التقبيح والتهجين لحالهم**، وإعلامهم بأنهم قوم بله لا عقل لهم ولا فكر ولا حكمة عندهم.

وإعراضهم عن الحق ليس لكونه غير مقنع ولكنهم غير مؤهلين للاقتناع (ففي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة، ونداء عليهم بالبلادة والغباوة، وعدم التأثر من مواعظ القرآن، بل صار ما هو سبب لاطمئنان القلوب موجبًا لنفرتهم)[1].

فالتشبيه بالحمر في هذا السياق مذمة ظاهرة جرى مثلها في القرآن لتشويه طبع آخر من طباعهم فهم طبعوا على البلادة والغباء؛ حيث قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

(١) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير**، (دمشق ، دار الفكر المعاصر، ط٢ ، ١٤١٨هـ)، (٢٣٤/٢٩).

(ولما كان المثل الجامع لهما – وهو وجه الشبه – شخصًا مثقلًا متعبًا جدًا بشيء لا نفع له به أصلًا، فهو ضرر عليه صِرف، لا يدرك ما هو حامله، غير أنه متعب، ولا يدري أصخر هو أم كتب، أنتج قوله معبرًا بالأداة التي هي لجماع الذم ترهيبًا للآدميين من أن يتهاونوا بشيء من أحكام القرآن فيكونوا أسوأ مثلًا من أهل الكتاب فيكونوا دون الحمار؛ لأن رسولهم –صلى الله عليه وسلم– أعظم، وكتابهم أعلى وأفخم)(١).

وحينما يجد القرآن اليهود، وقد كلفوا ثقل الأمانة، وأدركوا سر العقيدة، وتحملوا عبء التوراة، ثم نكصوا على أعقابهم، وتخلوا عن كل ذلك، فهم لا يعملون بمضمونها ولا يصيخون سمعًا لندائها، تاركين وراءهم الحق المبين، والصراط المستقيم، فهم – والحالة هذه – على درجة قصوى من الغباء والضياع حينما يلاحظهم هكذا وعلى هذا المستوى، فتشبيههم بالحمار وهو يحمل كتبًا نفيسة جاء مطابقًا لمقتضى ظروفهم الفعلية التي يحيونها؛ إذ ليس من شأن الحمار أن يستفيد بمضامين الكتب.

(وإطلاق الحمل وما تصرف منه على هذا المعنى استعارة، بتشبيه إيكال الأمر بحمل الحِمل على ظهر الدابة، وبذلك كان تمثيل حالهم بحال الحمار يحمل أسفارًا تمثيلًا للمعنى المجازي بالمعنى الحقيقي، وهو من لطائف القرآن)(٢).

ويصور القرآن عن طريق التشبيه طبيعة أخرى من طبائع الناس غير الحميدة وغير الحسنة وهي تكالبهم على الحياة الدنيا، وتفاخرهم بما لا يبقي، وتكاثرهم بما يفني، وذلك باستدعاء الطبيعة الصامتة التي سبق وأن ذكرت كيف تكون القاموس الجمالي للمبدع وهي في النص القرآني أداة تشوه أعمال هؤلاء المتكالبين على الدنيا حيث تتمثل هيئة الغيث المنقطع عن

(١) «نظم الدرر» (٧/٥٩٥).
(٢) «التحرير والتنوير»(٢٨/٢١٤).

الزرع بعد إنعاشه له لحظات ولمحات، وإذا به يجف دون إنذار، فيصفر الزرع ويتفتت نتيجة لعدم الموازنة في السقي والإرواء، ليصبح حطامًا تذروه الرياح، وهشيمًا تتناقله الأجواء، فبينا هو نبات يعجب الزارعين، وإذا به هباء يتطاير من هنا وهناك، والتشبيه يضع هذه الصورة في ملابساتها المتناقضة، ومضاعفاتها غير المترقبة تجاه أمر الدنيا، وحيال المعجبين بزخارفها، والمكاثرين بأوضارها؛ لتكون مثلًا لقوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وكم من آية من **الآيات دالة على الحطام والهشيم**، ترد في مواضع تقبح آثار الدنيا[١]..

ومن ذلك أيضًا الطباع طباع المن والأذى وقد كانت الطبيعة الصامتة سبيلًا لتصوير قبيحها فحينما يريد تشبيه الصدقات التي لا تجلب نفعًا، ولا تدفع ضرًا، ولا تستنزل رحمة؛ لأنها امتزجت بما يفسدها من الرياء بين الناس تارة، واختلطت بما يعكرها من المن والأذى تارة أخرى؛ يجد في «الصفوان» الذي يغطيه غشاء شفاف من التراب فيصيبه المطر فيتصلب ويتجمد عليه، فيعود متحجرًا صلدًا، صورة شاخصة لبلوغ التشبيه ذروته في التجسيد.

قال تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ

١ كقوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ﴾ [الحديد: ٢٠]، ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

ونوع من الشرك الخفي هو الرياء وهنا شبه الذين ينفقون أموالهم خالصة من الرياء في سبيل مرضاة الله بالبستان الكائن بمكان مرتفع وأصابه مطر شديد فأثمر مثلي ما كان يثمر في سائر الأوقات بسبب ما أصابه من الوابل، وهو تشبيه تمثيلي، (**والغرض من هذا التشبيه تفظيع المشبّه به،** و«الرئاء» بهمزتين «فِعال»؛ مِن رأى؛ وهو أن يُكثر من إظهار أعماله الحسنة للناس، فصيغة الفعال فيه للمبالغة والكثرة)[1].

(وهذا المثل في غاية المطابقة لمن فهمه؛ فـ«الصفوان» وهو الحجر كقلب المرائي والمانّ والمؤذي، و«التراب» الذي لصق به ما تعلق به من أثر عمله وصدقته، و«الوابل»: المطر الذي به حياة الأرض، فإذا صادفها ليّنةً قابلةً؛ نبت فيها الكلأ، وإذا صادف الصخور والحجارة الصم؛ لم ينبت فيها شيئًا، فجاء هذا الوابل إلى التراب الذي على الحجر، فصادفه رقيقًا فأزاله، فأفضى إلى حجر غير قابل للنبات، **وهذا يدل على أن قبح «المن والأذى والرياء» مستقر في العقول، فلذلك نبهها على شبهه ومثاله)**[2].

وعلى عكس ذلك الأثر يأتي قوله تعالى مصورًا النماء والنمو: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، فإن كانت هذه الجنة التي بموضع عال حيث لا تحجب عنها الشمس والرياح وقد أصابها مطر شديد، فأخرجت ثمرتها ضعفي ما يخرج غيرها إن كانت مستحسنة في العقل والحس، فكذلك نفقة من أنفق ماله لوجه الله لا لجزاء من الخلق ولا لشكور، بل بثبات من نفسه وقوة على

(١) «التحرير والتنوير»(٣/٤٨).

(٢) «مدارج السالكين»(١/٢٤٤-٢٤٥).

الإنفاق لا يخرج النفقة، وقلبه يرجف على خروجها، ويداه ترتعشان، ويضعف قلبه ويخور عند الإنفاق، بخلاف نفقة صاحب التثبيت والقوة.

ولما كان الناس في الإنفاق على هذين القسمين: كان مثل نفقة صاحب الإخلاص والقوة والتثبيت كمثل الوابل، ومثل نفقة الآخر كمثل الطل؛ وهو المطر الضعيف، فهذا بحسب كثرة الإنفاق وقلته وكمال الإخلاص والقوة واليقين فيه وضعفه، **أفلا تراه سبحانه نبه العقول على ما فيها من استحسان هذا واستقباح فعل الأول؟**

وكذلك قوله: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، **(فنبه سبحانه العقول على ما فيها من قبح الأعمال السيئة التي تحبط ثواب الحسنات**،وشبهها بحال شيخ كبير له ذرية ضعفاء، بحيث يخشى عليهم الضيعة وعلى نفسه، وله بستان هو مادةُ عيشه وعيش ذريته، فيه النخيل والأعناب ومن كل الثمرات، فأرجى وأفقر ما هو له وأسر ما كان به، إذ أصابه نار شديدة فأحرقته، **فنبه العقول على أن قبح المعاصي التي تغرق الطاعات بعدها كقبح هذه الحال**، وبهذا فسرها عمر وابن عباس رضي الله عنهم: «لِرَجُلٍ غنيّ عمل بطاعة الله زمانًا، فبعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله» ذكره البخاري في «صحيحه»[(1)](1).

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٥٣٨)، ولفظه: (قال عمر رضي الله عنه يومًا لأصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم: فِيمَ ترون هذه الآية نزلت ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ ؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر، فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عبّاسٍ: في نفسي منها شيءٌ يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا بن أخي؛ قُلْ ولا تحقر نفسك، قال ابن عباسٍ: ضُربتْ مثلًا لعملٍ، قال عمر: أيُّ عملٍ؟ قال ابن عباسٍ لعملٍ، قال عمر: لِرَجُلٍ غنيّ عمل بطاعة الله زمانًا، فبعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله).

ومن النصوص القرآنية الناصة على تقبيح الطباع وتشويهها عن طرق التشبيه مسألة نقض العهد قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ٩٢].

والمراد في الآية (**تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة، قيل: هي ريطة بنت سعد بن تيم،** وكانت خرقاء، اتخذت مغزلًا قدر ذراع، وصنارة مثل إصبع، وفلكة عظيمة على قدرها، فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن)(٢).

والمشبه به في «تفسير الفخر الرازي» فيه قول آخر أعم، **يتناول تقبيح كل من يقع منه الفعل**؛ إذ يقول:(في المشبه به قولان: الثاني: أن المراد بالمثل الوصف دون التعين؛ لأن القصد بالأمثال صرف المكلف عنه إذا كان قبيحًا، والدعاء إليه إذا كان حسنًا، وذلك يتم به من دون التعيين)(٣).

ومن قبيح الصفات المذمومة التبذير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

وقد ورد في القرآن الكريم استخدام الأخ وتصريفاته كأداة للتشبيه؛ من مثل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨]، ففي «إعراب القرآن» للنحاس: (يا شبيهة هارون)(٤).

=

(١) «مدارج السالكين» (١/٢٤٥-٢٤٦).

(٢) «إرشاد العقل السليم»(١٣٧/٥).

(٣) «مفاتيح الغيب»(٨٧/٢٠).

(٤) «معاني القرآن» (٣١٢/٢)، وعبارته: (أي: يا شبيهته في الصلاح).

وقد أورد صاحب «الطيبي» أدوات التشبيه وأنها ما يتوصل به إلى وصف المشبه بمشاركة المشبه به في الوجه؛ وهي الكاف وكان ومثل وشبه، وما في معناها ككي ونحوه، ونص فيها على كلمة (أخ)(١).

إذًا ف (أخ) من أدوات التشبيه.

قال في «الكشاف»: (**أمثالهم في الشرارة وهي غاية المذمّة؛ لأنه لا شرّ من الشيطان أو هم إخوانهم** وأصدقاؤهم؛ لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف، أو هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد)(٢).

وفي «التفسير الكبير»: (والمراد من هذه الأخوة: التشبه بهم في هذا الفعل القبيح؛ وذلك لأن العرب يسمون الملازم للشيء: أخًا له، فيقولون: فلان أخو الكرم والجود، وأخو السفر؛ إذا كان مواظبًا على هذه الأعمال.

والمقصود: أن المبذرين إخوان الشياطين، بمعنى كونهم موافقين للشياطين في الصفة والفعل، ثم الشيطان كفور لربه، فيلزم كون المبذر أيضًا كفورًا لربه)(٣).

وبمثله قال في «التحرير والتنوير»، لكنه زاد على ذلك قوله: (وقد زيد تأكيد ذلك بلفظ ﴿كَانُوٓاْ﴾، المفيد أن تلك الأخوة صفة راسخة فيهم، **وكفى بحقيقة الشيطان كراهة في النفوس واستقباحًا**)(٤).

وتشويه الطباع عن طريق التشبيه بالأدوات التشبيهية لا من خلال صورة تتجلى فيها

(١) الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد، التبيان في البيان، تحقيق: يحيى مراد، (بيروت دار الكتب العلمية) (ص ٩٤).

(٢) «الكشاف» (٦١٩/٢).

(٣) «مفاتيح الغيب» (١٥٥/٢٠).

(٤) «التحرير والتنوير» (٨٠/١٥).

آثار الطبيعة ورد في آية أخرى غير هذه وكانت في تشبيه حالة بحالة وكانت هذه الطبيعة هنا هي التولي عن منهج الله تعالى وذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦] وهذا تَعبير بالتولي الذي مضى، وهو تحذير من ارتكاب مثله في مثل هذه الدعوة بأنه تَوَلٍّ يوقع في الإثم لأنه تولَ عن دعوة إلى واجب وهو القتال للجهاد. (فالتشبيه في قوله: ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ تشبيه في مطلق التولّي لقصد التشويه وليس تشبيهًا فيما يترتب على ذلك التولي)[١].

١ التحرير والتنوير (٢٦ / ١٧٢)

الخاتمة

أدى التشبيه أروع أغراضه في القرآن الكريم في تشويه ما يريد التنفير منه وتقبيحه، ولو جمع الباحث التشابيه كلها في القرآن مما يتعلق منها بسياق التقبيح؛ لرسم صورة امرئ من القبح بمكان في الأقوال والأفعال والصفات والأفكار والطباع، لا يبعد عن الأوصاف التي جمعها صاحب «نجعة الرائد» للقبيح في سياق واحد، فهو (قبيح المنظر، بشع المنظر، فظيع المنظر، قبيح الصورة، دميم الخِلْقة، شنيع المرآة، مسيخ، مشوَّه الخلق، متخاذل الخلق، متفاوت الخلق، متخاذل الأعضاء، جَهْم الوجه، شتيم المحيَّا، كريه الطَّلْعة، كريه الشخص، سيئ المنظر، سَمِج المنظر، قبيح الهيئة، قبيح الشكل، قبيح الملامح، كريه المتوسَّم، منكَر الطلعة، جافي الخلقة، تبذؤه النواظر، وتنبو عن منظره الأحداق، وتتفادى من شخصه الأبصار، وتغض عن مرآته الجفون، وتقذى به النواظر، وتلفظه الآماق، ولا يقف عليه الطَّرْف، وإن به قبحًا، وشناعة، وبشاعة، وفظاعة، ودمامة، وشتامة، وجهومة، وسماجة، وهو أقبح خلق الله صورة، وإنما هو صورة العيوب، ومثال المساوئ، ومجتمع المقابح)(١).

فإذا كان المرء يكره أن يكون فيه واحدةٌ منها؛ فكيف بها مجتمعة؟!

وكيف إن صوَّرت أمة الإسلام شخصًا هذا منظره؟ أفتكون الأمة التي تدعو إلى الخير بمظهرها قبل مخبرها ثم أُخْبُر تَقْلِه؟! وهل نسبة الحسن إلى الأخلاق التي تجعل العبيد والنبيين في منزلة واحدة إلا من هذا الحسن والجمال لا الإغراق في القبح والسماجة؟!

وهل العيوب الخلقية إن اجتمعت لم تزد على أن تكون خلقية ولو أنها جسمت لكانت هكذا؟

ومن هنا كان حث الإسلام على حسن الصورة والسيرة والسريرة؛ لتكون دافعًا لدخول الناس في دين الله أفواجًا، لا خروجهم منه أفواجًا.

---

(١)اليازجي، إبراهيم، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، تحقيق: الأمير نديم آل ناصر الدين، (مكتبة لبنان، بيروت، ط٣، ١٩٨٥هـ) (١/٨-٩).

إن الأخلاق الذميمة ما لم تصور هذه الصورة الذميمة فلن يكون لها هذا الأثر في التنفير، وحين يرسم القرآن اللوحات الرائعة من الجمال لتدفع الناس إلى التفكر في الخلق والخالق والمخلوقات ليتم بذلك هداها؛ يرسم كذلك الصور المنفرة من المذام؛ ليتكامل للأمة طريقاها: جمال الكون، وجمال النفس... فهل أبتعد عن الصواب إن قلت: إن تصوير الجميل والقبيح هو غاية من الغايات وعليه مدار من مدارات الإسلام؟

النتائج والتوصيات:

- أساليب التقبيح في العربية كثيرة ويمكن للباحث تتبعها من مظانها، على نحو ما تتبع به الباحث التشبيه فرأى أنه قد أدى دورًا عظيمًا في التشويه.
- تعددت طرائق التشويه بتعدد طرائق التشبيه، ولهذا فإن الباب متسع لإفراد كل نوع من الأنواع بمبحث.
- التصوير في القرآن يأتي في الإطار القرآني الهادف في تنفير الناس من بعض الأفكار والأقوال، وبطريقة تشويه المعاصي ينقل القرآن هذه الأشياء من مستحبات النفوس وميولها الخادعة ليضعها في موضعها الصحيح، فيكشف الجمال الزائف عنها ويظهر شناعة صورتها، ويرسمها الرسم الحقيقي الذي تستحقه.
- الدراسات حول الطبيعة صامتة كانت أو ناطقة قمينة بدراسات كثيرة، وهي وإن فاضت ببعضها المكتبات الإسلامية، لكنها قصرت عن جمعها كلها في باب واحد أيدي الدارسين! ولا سيما أن الطبيعة التي لطالما غدت مصدرًا لتصوير الجميل هي أيضًا مصدر لتصوير القبيح، وهذا ما يمكن البحث فيه.
- كان للأقوال والأفعال والصفات والطباع القبيحة نصيب وافر من الذم والتشويه، وكما ذم القرآن بعض الأفعال ذم مآلاتها كذلك.
- يوصي الباحث بإفراد خصلة من الخصال المقيتة التي ذمها القرآن الكريم وتتبع طرائق تشويهها فيه.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، مصحف المدينة المنورة، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣. إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار اليمامة ودار ابن كثير، دمشق، ط٥، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٤. الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٢، ١٩٩٧م.

٥. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان النورسي، تحقيق إحسان صالحي.

٦. الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر الخطيب القزويني، تحقيق: بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٧. البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

٨. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية.

٩. تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

١٠. التبيان في البيان: شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي، تحقيق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

١٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد عبد الرزاق البكري وآخرين، دار السلام، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٩م.

١٣. الجدول في إعراب القرآن الكريم: صافي محمود بن عبد الرحيم، دار الرشيد، دمشق، دار الإيمان، بيروت، ١٤١٨هـ.

١٤. ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥م.

١٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين أبو الفضل محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦. صحيح البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة.

١٧. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ)، مصورة لدى دار الجيل، بيروت.

١٨. العلم في منظوره الجديد: تأليف روبرت أو غروس وجورج استأنسير –ترجمة: كمال خلايلي

١٩. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٠. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة.

٢١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.

٢٣. معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٤. معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٢٥. معجم الأدباء: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

٢٦. مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٧. مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٢م

٢٨. من بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر، (٢٠٠٥م).

٢٩. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (٨٧٤هـ)، تحقيق: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

٣٠. نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد: إبراهيم اليازجي، تحقيق: الأمير نديم آل ناصر الدين، مكتبة لبنان، بيروت، ط٣، ١٩٨٥هـ.

٣١. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

٣٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م